هل زيادة السكان نقمة؟

سؤال يجيب عنه الدكتور إبراهيم العيسوي الأستاذ بمعهد التخطيط القومي بالقاهرة في مقال نشر بالأهرام الاقتصادي بقوله: إن وجهة النظر المصرية في مصر قد تحددت فيما يظهر تأثير أجنبي هو تقرير "موبليد"، والذي نال من الشهرة وذيوع الصيت أكثر بكثير مما يتناسب مع قيمته العلمية، وصار مصدرا موثوقا به في كل المادة الإعلامية التي دأبت هيئة استعلامات مصر على نشرها في وسائل الإعلام، ويلاحظ أن الزيادة في الاستهلاك والاستيراد ترجع إلى السلع الكمالية الترفيهية التي يقبل عليها الخاصة من الأغنياء، والسلع الضرورية التي شهدت تزايدا ملموسا في استيرادها لم تشهد ارتفاعا ملحوظا في معدل استهلاكها وإنما شهدت انخفاضا ملموسا في إنتاجها مما يناقض الزعم بأن الزيادة السكانية هي السبب في تزايد الاستهلاك والاستيراد.

تقول الدكتورة نوال عمر مدرسة الإعلام بكلية آداب الزقازيق: إن معظم الباحثين للمشكلة الاقتصادية في العالم الإسلامي تناولوها من ناحية واحدة هي تحديد النسل وفي ضوء دراستي الميدانية ومشاهداتي على الطبيعة والنتائج التي توصلت إليها في زياراتي لكل من لبنان وأوروبا وكندا وأمريكا اللاتينية وغرب إفريقيا أقر بأني أرى الحفاظ على الثروة البشرية واستخدامها الاستخدام الأمثل عن طريق تدريبها وتعليمها واستخدامها في إصلاح واستزراع الأرض – وذلك بإحداث طفرة زراعية لضمان الأمن الغذائي – فإن أساس الاهتمام في الدول المتقدمة بالنسبة لعناصر الإتاج منصب على العنصر البشري على عكس الحال في اقتصادنا فاهتمامنا منصب على التكوين المادي.

ولكن أيها المسلمون ما موقف الإسلام من تلك القضية التي يريدون لنا أن تكون ضحيتها، فالإسلام هو دين العمل وإذا كانت قوة العمل في النظم المعاصرة تقاس بعدد القادرين على العمل مع رغبتهم فإن الإسلام يوسع من معيار التقدير فلا يستبعد من قوة العمل الراغبين عن العمل مع قدرتهم عليه ذلك لأن العمل واجب على كل قادر وأن التشغيل الكامل لقوة العمل والإنتاج وكل ما يخدم المجتمع الإسلامي واحد.

ويذكر الدكتور محمود الرومي أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة بجامعة الأزهر في كتابه "مقدمة في أصول النظام الاقتصادي الإسلامي": إن الإسلام لا يتوقف عند حد تقرير العمل كفريضة على المسلم وإنما يعد وجدان المسلم ويسلحه بالوازع الديني الداخلي قبل الخارجي، يقول رسول اللهﷺ: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفور له" – رواه الطبراني، وإلى جانب ذلك فإن الإسلام يرقى بالعمل إلى مرتبة الجهاد فقد قال رسول اللهﷺ عن رجل نشط مر عليه فقال "إن كان خرج يسعى على أولاد صغار فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"– رواه الشيخان.

يقول الدكتور الرومي أيضا في كتابه: إن الإسلام أتاح الوسائل العديدة للإيجاد وفرص العمل كتشجيع الأيدي العاملة إلى الهجرة لأن الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية التي صنعها المستعمر وبخاصة تلك التي تفصل بين بعض الدول الإسلامية وبعضها الآخر مع أنها كانت في الماضي أمة واحدة ودولة واحدة، يقول الله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" "الأنبياء:٢٩".

وقد حث الإسلام على الهجرة وإيثار الكرامة وسعة الرزق على الذل وضيق الحياة، وقد خصص الإسلام جزءا من أموال الزكاة لتوفير أدوات الإنتاج، ولو نظرنا إلى الأرض الصالحة للزراعة دون استصلاح في العالم الإسلامي لوجدنا ملايين الأفدنة التي لا تحتاج إلا إلى الأيدي العاملة، فأراضي السودان تكفي لإطعام العالم فهي مخزن حبوب ولكنها تحتاج إلى عنصر العمل الذي رفعه الإسلام إلى مرتبة الجهاد بل أعلى من الجهاد.

وعنصر المال متوفر في الدول الإسلامية الغنية، فالمجتمعات الإسلامية يكمل بعضها بعضا، فالأراضي الصالحة للزراعة موجودة في السودان والعراق والمغرب وسوريا وغيرها، والأيدي العاملة موجودة في بنجلاديش وباكستان ومصر ونيجيريا وغيرها، ورأس المال موجود في البلاد النفطية العربية والإفريقية.

والدكتور موسى شاهين لاشين رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر يقول: لم تكن كثرة العدد في يوم من الأيام عاملا من عوامل الضعف إلا في حالة عدم توظيف هذه الأيدي وعدم استخدامها والاستفادة منها، وسبب ضعف الحالة الاقتصادية في البلاد الإسلامية يظهر في ضعف التخطيط وضعف الاستفادة منه.